Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

تمثلات اليهودي للنسق الأيديولوجي (نماذج روائية عربية)

أ. د فوزية لعيوس غازي م. م فاضل حمد مكوار

Summary

The novel is one of the most descriptive literary texts dealing with the social, religious, political, and historical aspects, and clarifying the intellectual, cultural and ideological patterns in the way it provides the recipient with literary messages that carry cultural meanings in which the narrative, artistic composition is inspired by the linguistic, The goal is to create fun for the reader, and then participate in the deconstruction of the narrative, and an attempt to questioning the inherent, and silent in other arts.

This study seeks to extrapolate the ideological patterns inherent in the discourse of the Arab novelist by exploring it and uncovering it from ideological patterns dominated by religious, political, and intellectual cultural references represented by the Jewish personality in relation to the other. The study was limited to two important ideological models: the media and journalism ideology, the espionage ideology, and the plot; the Jews were clearly and substantially represented by them, as demonstrated by the selected models.

الملخص:

تعدُّ الرواية، من أكثر النصوص الأدبية السَّردية معالجة للمظاهر الاجتماعية، والدينية، والسياسية ، والتاريخية ، واستجلاء الأنساق الفكرية ، والثقافية ، والأيديولوجية ، بما تقدمه للمتلقي من رسائل أدبية ، تحمل مضامين ثقافية تعتمد فيها التشكيل السَّردي ، الفني ، بما يحويه من عناصر بنائية ، لغوية ، وزمكانية ، الهدفُ منها خلق المتعة للقارئ ، ومن ثم مشاركته في فكّ خيوطها السَّردية ، ومحاولة استنطاق المضمر ، والمسكوت عنه في فنون أخرى.

وتسعى هذه الدراسة إلى استقراء الأنساق الأيديولوجية، الكامنة في ثنايا الخطاب الروائي العربي، وذلك باستنطاقها، وكشفِ ما توارى ، أو سُكِتَ عنه من أنساق أيديولوجية ، تتحكَّمُ فيها مرجعيات ثقافية دينية ، وسياسية ، وفكرية ، تمثلتها الشخصية اليهودية في علاقتها مع الآخر ، وهي كثيرة ؛ إلاَّ أنَّ الدراسة اقتصرتْ على نموذجين أيديولوجيين هامَّين ؛ هما : أيديولوجيا الإعلام والصحافة ، وأيديولوجيا التجسُّس ، والمؤامرة ؛ نظراً لتمثل اليهودي لهما ، بشكل واضح ، وكبير ، وهذا ما بينته النماذج المختارة.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

المقدمة:

لا شكَّ أنَّ وراءَ اختيار موضوع الدراسة، النسق الأيديولوجي وتمثلاته السَّردية في الرواية العربية، دواعٍ عدَّة؛ منها: ما يتعلق بحقيقة النسق، وعلاقته بالثقافة، بغية الوصول إلى شبكة العلاقات التي تنتجُ النسق الثقافي، وقيمته الدِلالية.

ومن الدواعي الأخرى، معرفة مفهوم الأيديولوجيا، بوصفها إشكالية ثقافية، ضاربة في التعقيد، والإبهام، ومن الصعب على الدارس أنْ يمتلك، أو يُحدد خيوط المفهوم، من دون أنْ يعرف دلالته، والمعاني التي يقترب منها، ومن ثم معرفة المرجعيات الثقافية المختلفة، التي جعلتْ منه نسقاً ثقافياً ، تتمثله كثير من المجتمعات الإنسانية في الشرق ، والغرب ، بوصفه أداة دفاعية تضمنُ وجودها ، وهويتها ، وتدرأ الخطر الذي يهدد سيادتها.

ويدلُّ النسق ، على ((ما جاء من الكلام على نظام واحدٍ))[١] ، وفي اليونانية القديمة ، تعني ((التنظيم ، والتركيب ، والمجموع ، ومن ثم تحيل الكلمة على النظام ، والكلية ، والتنسيق ، والتنظيم ، وربط العلاقات التفاعلية بين البنيات والعناصر ، والأجزاء ، ومن ثم فالنسق نظام بنيوي ، عضوي ، كلي ، وجامع))[٢] ، وهو نظام ((ينطوي على أفراد مُفتعِلِينَ ، تتحدَّدُ علاقتهم بعواطفهم ، وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة ، والمقرَّرة ثقافياً في إطار هذا النسق ، وعلى نحو يغدو فيه مفهوم النسق أوسعُ من مفهوم البناء الاجتماعي))[٣] ، ويرتكز على ((معايير ، وقيم تشكلُ مع الفاعلينَ الآخرينَ جزءاً من بيئة الفاعلينَ))[٤].

ولا بُدَّ من الإشارة، إلى أنَّ هناكَ نسقاً عامَّاً، تتولَّدُ منه أنساق فرعية ، تستلزم التراتبية ، والاستقلالية [٥] ، والارتباط بمحيطه الثقافي ، ولكي نصل إلى مفهوم النسق الثقافي ، يُقتضى منَّا معرفة مفهوم الثقافة ، وأثرها في إنتاج ذلك النسق.

تعدُّ الثقافة من المفاهيم الشمولية، والواسعة ، التي تمُسُّ جوانب الحياة المختلفة ؛ نظراً لتشعُب معانيها ، ودِلالاتها ، وهي ((المركبُ الذي يضمُّ المعرفة ، والاعتقاد ، والفنّ ، والأخلاق ، والقانون ، والأزياء ، وكل الملكات الأخرى ، والعادات التي يكتسبها الإنسان))[٦] ، بوصفه كائناً ثقافياً في المجتمع.

وتقودنا مقاربة المفهومين إلى تلمس شبكة العلاقات القائمة بينهما ، التي تنتج النسق الثقافي ، ومعرفة قيمته الدلالية ؛ وهو في أبسط معانيه ((مواضعة اجتماعية ، دينية ، أخلاقية ، استيتيقية ، تفرضها لحظة معينة من تطورها ، الوضعيةُ الاجتماعية ، والتي يتقبلها ضمنياً المؤلفُ وجمهورُهُ ، وهكذا يكون أفق النصوص المفردة ، والإنجازات الفردية ؛ هو النصُّ الثقافي الذي يجعلها ممكنة ، وفي الوقت نفسه يحدُّ من مدى تساؤلاتها))[٧] ، ومن ثم يأتي دور النقد الثقافي في كشفِ هذه الأنساق الثقافية المتناقضة ، والمتصارعة ، والمتنوعة في ظاهرها ، ومضمرها.

وتقتضي طبيعة الدراسة أنْ يكونَ العنوان متحكماً في تنظيم مسارها ؛ لذا كانتْ تمثلات اليهودي للنسق الأيديولوجي هي المهيمنة عليها ، من خلال استنطاق مضمراته المتوارية خلف النصوص السَّردية ، ومن ثم شفعنا ذلك بمقدمة نفصح فيها عن دواعي الاختيار ، ومعرفة العلاقة بين النسق ، والثقافة ، ومن ثم تحديد العنوانات الرئيسة التي تنهضُ بها الدراسة ، ومنها : مفهوم النسق الأيديولوجي وتمثل الشخصية اليهودية له ، وأيديولوجيا الإعلام والصحافة ، الإسرائيلية ، والعربية ، والعالمية ، وأيديولوجيا التجسُّس والمؤامرة ، وبعدها الوقوف على أبرز الإشكاليات التي ساهمتْ في ظهور النسق الأيديولوجي.

النسق الأيديولوجي:

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

يُعدُّ مفهوم الأيديولوجيا ، مفهوماً ، معقداً ، ومتشعباً ؛ نظراً لثرائه ، وتعدُّدِ ميادينه ، ويكمنُ تعقيده في تحليلاته الثقافية ؛ إذ ((يستعملُ بالتبادل ، مع الثقافة نفسها))(٨) ، حتى أصبح من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد ، وتعدُّ الكتابة عنه ((مغـامرة ، غيـر محمودة من الناحية العلمية))(٩) ، إذا لـمْ نستطع تحديد معانيه المختلفة ، التي ننطلق منها في معرفة المفهوم ، حتى أضحى تتبع أفقه الدِلالي غاية في الصعوبة ، فلا تعريف مستقر له ، أو متفق عليه من قبل الباحثين ؛ فمفهوم الأيـديولوجيا ((من أكثر المفاهـيم مـراوغة في العـلوم الإنسـانية بأكمـلها))(١٠) ، وإحالته على الحقول الأدبية ، يجعله أكثر تعقيداً.

ويرى عالم الاجتماع الألماني «كارل مانهايم » ١٨٩٣ – ١٩٤٧م ، أنَّ الأيديولوجيات أنساق فكرية ((تخدم في الدفاع عن نظام اجتماعي معيَّن ، وتعبر بشكل واسع عن مصالح الجماعة الحاكمة أو المسيطرة))(١١) ، وتشيرُ على أننا ((نتخذُ موقفاً متشككاً تجاه الأفكار ، والتصورات التي يتقدَّم بها خصمنا ، وهي تمويهات واعية – بدرجات متفاوتة – تخفي الطبيعة الحقيقية ، لوضع لنْ يكون الاعتراف بحقيقته متفقاً مع مصالح الخصم. وتتراوح هذه التحريفات بين الأكاذيب المقصودة، والتمويهات شبه المقصودة ، أو غير المقصودة ، وبين المحاولات المتعمَّدة ، لخداع الآخرينَ ، أو خداع النفس))(١٢) ، في حين يرى منظرو الأيديولوجيا ؛ بأنها ((أنساق فكرية مغلقة ، ترفضُ من خلال ادعائها ، احتكار الحقيقة تحمُّل الأفكار المعارضة ، والمعتقدات المنافسة))(١٣) ، وواضح أنَّ هذه الرؤية ، تـُقيدُ المفهوم ، الذي بدا منفتحاً عند السابقين.

وتفرضُ الأيديولوجيا حضورها في المجتمعات الثقافية ، بوصفها ((بنيات قبل كل شيء ، من دون أنْ تمرَّ بوعيهم ، وهذه التمثلات ، هي موضوعات ثقافية ، تـُدرَكُ ، وتـُقبلُ ، وتعاني ، فتؤثر عليهم وفقَ عملية يجعلونَ مدلولها))(١٤) ؛ لذي يقتربُ ذلك من تعريف أحد الباحثين فيها ، بأنَّ الأيديولوجيا ((نسق له منطقته ، ودقته الخاصتين من التمثلات ، من صور ، وأساطير ، وأفكار ، يتمتع داخل مجتمع ما ، بوجودٍ ، ودور تاريخيين ؛ لكنَّ هذه التمثـلات ، لا تمتُ إلى الـوعي بصلة)).(١٥)

ولا شكَّ ، أنَّ دخول الأيديولوجيا في الحقل الروائي جعلها أكثر تعقيداً ، وتشابكاً ، بسبب التخبط الذي يحصل أثناء تحليل النصوص السَّردية الروائية ؛ لذلك لا نريدُ أنْ نتحدث عن الرواية بوصفها أيديولوجيا ؛ لأنها وفق هذا المعطى ، تعني ((موقف الكاتب بالتحديد ، وليسَ موقف الأبطال كل منهم على حدة))(١٦) ، لذلك نريد أنْ نقف عند تمثلات اليهودي للنسق الأيديولوجي في نماذج روائية عربية ، وتبنيه بعض الأفكار ، والتوجهات ، التي أفرزتْ كثيراً من الأنساق المهيمنة ، وهي كثيرة فيها ، وتقتضي الدراسة التركيز على الأنساق الأيديولوجية التي أخذت مساحة واسعة في النصوص الروائية المختارة ، لذا سيكون التركيز على أيديولوجيا الإعلام والصحافة ، وأيديولوجيا التجسُّس ، والمؤامرة ، بوصفهما نسقين أيديولوجيين تمثلهما اليهودي.

أولاً – أيديولوجيا الإعلام والصحافة :

تلعبُ الوسيلة الإعلامية دوراً كبيراً في استقاء المعلومات ، التي تتعلق بالقضايا المطروحة في المجالات الثقافية ، والسياسية ، والـدينية ، والاجتمـاعيـة ، والاقتصـاديـة ، وقـدرتها عـلى ((الحـراك ، ومخـاطبة القسم الأعظم من التكوين المجتمعي ، وتشكيل الوعي الاجتماعي ، والثقافي))(١٧) ، وبذلك أصبحت الوسيلة الإعلامية ، والصُحفية مصدراً رئيساً في الحياة الإنسانية.

يُشبه أحـدُ الباحثين الوسـيلة الإعـلامية ، بالإبـرة التي تخترق الجـلد ، لتحقن المشـاهدين برسـالتها ، وهم ((ينتقونَ اختياراتهم الإعلامية التي يستخدمونها ، ويفسرونَ نصوصها بمجموعة من الأساليب المختلفة ، ووفقاً لمنظري نظرية التلقي ، فإنها تلعبُ دوراً كبيراً في تكوين النصوص))(١٨) ، وأنَّ

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

نصوصها تتمتعُ بلغة مؤثرة ، تساهم في تكوين الأنساق الثقافية ، والأيديولوجية المختلفة ، أي أنَّ ((أنساق الأيديولوجيا ، أو النظرية ، أو الاعتقاد تتمفصلُ بطريقة سرية ، ومستمرة ، وغير مباشرة ، بوساطة التفاصيل المتنامية للبنيـــة اللغوية))[١٩] ، وذلك لأنَّ اللغة التي تتكلم بها مجموعة ثقافية ، وما فيها من مفردات يعرفها أفرادها ((ليستْ لائحة من الكلمات ذات معان طبيعية فحسب ، وإنما هي نسق تصنيفي من الأفكار ، وتجارب مجتمع ما))[٢٠].

وتعرفُ أيديولوجيا الإعلام ، بأنها ((نظام من الأفكار ، يُعبَّرُ عنه من خلال العملية الاتصالية ، التي تشملُ القائم بالاتصال ، وطريقة استخدامه للنص ، أو اللغة ، أو الصورة الساكنة ، أو المتحركة التي تنقلها الوسيلة الإعلامية ، المطبوعة ، أو المسموعة ، أو المرئية))[٢١] ، وهذا يعني اعتمادها على عناصر ثلاثة ؛ هي : النصّ ، واللغة ، والصورة ، وتختلف درجة حضور هذه العناصر تبعاً لقدر الإقناع ، والتأثير في المجاميع الثقافية التي تتلقى رسائلها الإعلامية.

يتضمَّنُ النصُّ الإعلامي ((أيديولوجيا مباشرة ، أو غير مباشرة ، ظاهرة ، أو خفية ، تحملُ معانٍ ظاهرة ومباشرة يلحظها القارئ ، ويفهمها من سياق المعنى ، أو من بعض مفرداته التي تعكس أيديولوجيا كاتبها ، أو المؤسســـــسة الإعـــــلامية الناقلة للنص ، أو أيديولوجيا المجتمع الذي تصدر منه))[٢٢] ، ووفقاً لهذه المعطيات ، عالجتْ الرواية العربية إشكالية الإعلام والصحافة ، ودورهما في بسط الهيمنة الثقافية على الأفراد ، والجماعات ، وبث رسائلها الأيديولوجية ، بهدف التأثير على الشعوب نفسياً ، واجتماعياً ، واجتلاب عطفها ، وتأييدها ، بفضل ما تخفيه من مضمرات أيديولوجية في نصوصها ، وهي تهدف إلى تظليل الرأي العام منطلقة من ميادين ، ومشارب مختلفة ، وهذا لا يعني أنَّ كلّ الوسائل الإعلامية تنحى السلبية في بث رسائلها ، وإنما هناك مؤسسات أخرى تتخذ الإيجابية ، والعقلانية وسيلة لإبراز حقيقة الرسالة الإعلامية ، ومضامينها الإنسانية. وهنا سنشير إلى تمثلات الشخصية اليهودية للنسق الأيديولوجي في الصحافة والإعلام ، على الصعيد الإسرائيلي ، والعربي ، والعالمي ، في محاولة لاستجلاء المضمر من رسائلها التي تتضمن خطابات أيديولوجية خطرة.

أ – الإعلام والصحافة الإسرائيلية :

لا تختلفُ وسائل الإعلام ، والصحافة الإسرائيلية عن غيرها من الدول الأخرى ، ولا تشذُّ عنها في رسم ملامحها الثقافية ؛ لما لها من دور كبير ، ومكانة مرموقة في هيكل بناء الدولة ؛ نظراً لأهميتها في النشاطات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والأمنية ؛ إذ تـــُعدُّ ((عنصراً أساسياً في التعبير عن خياراتها الداخلية ، والخارجية))[٢٣] ، وما لها من دور كبير في ((تحويل ، وتغيير ، وتثبيت الآراء ، والمواقف ، والقناعات ، حتى أصبح الأخذ بناصية تقنياتها ، أمراً مهمَّاً ، وضرورياً تضعه الدولة في مقدمة أولوياتها))[٢٤] ، لذلك تجدُ كثير من الدول في إعلامها معياراً للنجاح ، والتقدم ، ومواكبة روح العصر ، وهو ما تبحث عنه في كل توجهاتها ، بخاصَّة السياسية.

عالجتْ الرواية العربية أيديولوجيا الإعلام الإسرائيلي في نصوصها السَّردية ، وطرحت الإشكاليات ، والأساليب التضليلية التي تتحكَّمُ بها أنساق أيديولوجية مضمرة ، تهدفُ بث الرعب في قلوب الآخرين ، والحافظ على كيانها ، وأمنها ، من المخاطر الداخلية والخارجية ، وهي بذلك شأنها شأن الدول الأخرى في مواجهة ما يحيق بها من تهديدات.

وتعدُّ رواية « وارث الشواهد » ، للروائي الفلسطيني « وليد الشرفا » ، واحدة من الروايات العربية التي سلَّطتْ الضوء على الإعلام والصحافة الإسرائيلية ، تدور الرواية حول قصَّة « الوحيد » ، الذي يعملُ أستاذاً للتاريخ

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

الفلسطيني ، هُجّرَ قسراً من قريته ، ويتهمُ بقتل شرطي إسرائيلي في حادثة أجّجها الإعلام الإسرائيلي ، بعدّه خائناً ، وجاحداً في ردّ جميل إسرائيل ، التي سمحت له بدخـــــول « حيفا » ، مرافقاً لجدّه المريض في رحلة علاجه.

وتصـــــورُ الـــــرواية ، دور الصحافة الإسرائيلية في تشـــــويه الحقائق ، حـــــول مقتل الشـــــرطي ، وإلصـــــاق التـــــهمة بـ « الوحيد » ، يقول الراوي : ((**تكتبُ الصُّحفُ الإسرائيلية ، عن ذلك المؤرّخ ، والأكاديمي الفلسطيني الخائن ، الذي تنكَّرَ لتصريح الدخول ، الذي منحتهُ إيَّاه إسرائيل ، لمرافقةِ جدّهِ المريض ، وأنَّ هذا الأكاديمي الذي أقلق العالمَ بالإنسانية ، ورفضِ القتل ، وبشَّرَ بالمحبَّة ، لـمْ يكنْ إلاَّ كاذِباً ، مهووساً بالحقدِ ، دخلَ إسرائيلَ للقتل ، وارتكبَ خيانة تشبه سرقة الضيفِ ، لبيت مُضيّفِهِ ، واغتصابِ زوجتهِ ، لقدْ أثبتَ الوحيد – حسبَ الصُّحفِ العبرانية – أنـــَّـــهُ يجبُ على إسرائيلَ أنْ تراجعَ سياستَها في حُسنِ النوايا ، تُجاهَ الفلسطينيينَ ، فهذا المؤرخ ، مريضٌ بالكراهية ، واختلق الروايات ، لِـــيُبرّرَ دمويتهُ**))[٢٥] ، يكشفُ السَّرد أنَّ مضمون الرسالة الصُّحفية ، يقومُ على تضليل الحقائق ، وترويج الأكاذيب التي تخفي مضمراً أيديولوجياً ، يرتبطُ بالإطاحة بالخصوم ، وبخاصَّة النـــُّـــخب المثقفة ، التي اطَّلعتْ على الواقع الإسرائيلي ، ومخططاته التي تستهدفُ الأرض ، والإنسان في فلسطين.

وتكشفُ رواية « الـــــزُّمرة » ، للـــــروائـــــي الفلسطيني « عمَّـــار الزبن » ، عن ألاعيب الصحافة الإسرائيلية ، واعتمادها الحرب النفسية مع الآخر ، وتمرير مخططاتها الأيديولوجية في السيطرة ، والاستحواذ ، وضرب الخصوم ، وإشاعة الرُّعب في نفوسهم. وتقوم الرواية على قصَّة خمسة مجاهدينَ ، من مجاهدي حركة القسَّام ، تم اختيارهم وفق مواصفات دقيقة ، تتمثل بالخبرة ، والتمرُّس ، والشجاعة ، يقومونَ بنصب كمين لقوات الاحتلال في معركة « العصف المأكول » ، في عام ٢٠١٤م ، جنوب قطَّاع غزَّة ، يذيقون فيها العدو الويلات ، لكنَّ قوات الاحتلال تتمكَّنُ من الظفر بهم ، فيستشهدُ ثلاثة منهم ، ويُصابُ الآخرانِ في العملية الأخيرة.

وترصدُ الرواية ، تناقضات الإعلام الإسرائيلي ، في نقل الأخبار ، والأحداث ، وترويج الإشاعات الكاذبة ، والمتضاربة ، وتزييف الحقائق ، وتضليلها ، فيما يتعلق بالإنزال البحري في منطقة « زيكيم » ، حيث أعلنتْ الإذاعة الإسرائيلية ، خبراً كاذباً حول تصفية الاحتلال لمجموعة من الضفادع البشرية الفلسطينية التي استطاعتْ الانزال قرب عسقلان في قاعدة « زيكيم » ، وقامتْ بقتلهم جميعاً ، يقول السارد : ((**بينما نشرَ أحدُ مواقع العدوّ ، شريطاً سرَّبه أحدُ الجنود ، يُظهرُ فيه الجنود ، مذعورينَ ، والقذائِفُ تنهمرُ عليهم في قاعدة زيكيم ، التي هاجمتها الضفادعُ البشـــــرية**))[٢٦] ، وهـــــذا ما دفـــــع رئيس أركـــــان الجـــــيش الإســـــرائيلي بالإشـــــادة بالمجاهدين الفلسطينيينَ ، ووصفهم بالرجال الشجعان ، ممَّا أثار حفيظة الصحافة الإسرائيلية ؛ إذ ((**احتجَّتْ صحافةُ العدوّ : كيفَ تـــُـــشيدُ بالمُخربينَ الذينَ يشنونَ حرباً ؟ ووجههُ يقطرُ دماً من وجع المقاومة : مِنَ الشجاعةِ أنْ نعترفَ بحقيقة عدوّنا ، حتى نستطيعَ محاربته ، وأنا لا أتراجعُ عنْ حديثي ، فعدوُّنا شُجاعٌ**))[٢٧] ، ويكشفُ السَّرد عن سياسة تكميم الأفواه ، التي تلعبها الصحافة الإسرائيلية مع مواطنيها ، لكي لا يُثار الرأي العام الإسرائيلي على حكومته ، ولا تهتزُّ ثقة الإسرائيليين بها ؛ فضلاً عن دورها الكبير في الحفاظ على أمن إسرائيل ، حتى وإنْ اختلقت الأكاذيب ، والأخبار الملفقة.

وصوَّرتْ لنا رواية « بنت صهيون » ، للروائي المصري « شريف شعبان » ، الإعلام الإسرائيلي المعتدل ، والمحايد في طرحه ، وفي أخباره ، تجاه الأحداث التي تجري داخل إسرائيل ، إذ بدأ الصُّحفيون الإسرائيليون ، المعتدلونَ ، بفضح الممارسات الإسرائيلية ، التي تتخذ من أساليب الترويع ، والاضطهاد ، والعنف ، والقتل ، والتهجير القسري للفلسطينيينَ منهجاً لها ، فضلاً عمَّا يصدرونه من صحف تنشدُ في مقالاتها ، السلام ، والتعايش بين الطرفين ؛ لكنَّ السَّرد يكشف أنَّ هذه الأساليب المعتدلة لا تلقى قبولاً من الحكومة الإسرائيلية ، فتتم معارضتها ، ومجابهتها بالقوة ، تصل للتهديد بالاعتقال والسجن ، وحتى القتل ، وهذا ما حدث لأحد الصُّحفيينَ الذي انتقد

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

السياسة الإسرائيلية ، وأيَّد المطالب الفلسطينية المشروعة ، وتمثل ذلك بشخصية الصُّحفي الإسرائيلي المعتدل « دانيال » ، الذي بدتْ معارضته ، وانتقاداته واضحة في النصَّ الروائي ، وبشكل كبير.[٢٨] ، وهذا يعني أنَّ الشخصية اليهودية تبنتْ موقفين في تمثلاتها الأيديولوجية في مجال الإعلام والصحافة ، الأول : اتباعها أساليب التضليل ، وترويج وتلفيق الأخبار الكاذبة ، وهو المسيطر على المعالجات السَّردية الروائية العربية ، والثاني : يتمثل بالموقف المعتدل ، وعدّ الإعلام رسالة إنسانية ، لا بدَّ من تقديم مضمونها بشفافية ، وصدق ، بعيداً عن المسميات العنصرية ، والطائفية.

ب – الإعلام والصحافة العربية :

يلعبُ الإعلام ، دوراً بارزاً في حياة الأمم ، والشعوب ؛ إذ ((لا تكادُ تخلو أمَّة من أمم الأرض ، أو شعب من الشعوب من تأثيره ، سلباً ، أو إيجاباً ، وإنْ اختلفتْ سُبل ، وطرق هذا التأثير))[٢٩] ، نظراً لما تتمتعُ به الوسيلة الإعلامية من تأثير ، وقوة ، وفعالية ، حيث يمكن ((أنْ تستعمل تلك القوة الهائلة أداة للخير ، ودعماً للإيجابيات ، ويمكن أنْ تستعمل بوصفها وسيلة للهدم ، وإشاعة للمفاسدِ والسلبيات)).[٣٠]

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ الوسيلة الإعلامية ، والصُّحفية العربية ، لا تختلفُ في طبيعة عملها ، وتوجهاتها عن البلدان الأخرى ؛ إذ أنها تفتقد الحيادية في ((مسألة تعارض المصالح بين القوى السياسية المختلفة ، وبين الحاكم والمحكوم ، فالتسلُّط الحكومي ، هو الأبرز في صياغة السياسات العامة لكثير من وسائل الإعلام))[٣١] ، وهذا يعني تغييب متعمد ، ومقصود لواقع المواطن ، وهمومه ، ومتطلباته عن الواجهة الإعلامية.

ولم تكن الرواية العربية بعيدة عن هذه الإشكاليات الثقافية ، وما تضمره من أنساق أيديولوجية ، وثقافية في رسالتها الإعلامية ، ولغة الخطاب الصُحفية ، والصورة السَّمعية ، والمرئية لهذه الوسائل ، ودورها في تغيير الآراء ، والأفكار التي تتبناها ، أو يتبناها نظام ثقافي معين في رؤيته للآخر.

وتكشفُ رواية « مسيَّا » ، للروائي المصري « عمرو الجندي » ، زيفَ الإعلام العربي ، وتشويهه للحقائق ، عندما يقوم برسم صوراً قاتمة لبعض الجماعات اليهودية المُسالِمة ، التي تتخذُ مساراً دينياً خاصَّاً بها ، تؤمن به ، وبأفكاره ، وأهدافه ، ومعتقداته ، ومرجعياته. وتقوم هذه الرواية على قصَّة الروائي « أدهم طلال » ، المصاب بسرطان المخ ، والذي يبحث عن قضية حقيقية تخلد اسمه ، وثروته الأدبية ، حتى جاءتْ المصادفة أنْ يجد في أحد الكتب التي قرأها بعض الرموز والأساطير اليهودية ، التي تتحدث عن الخلاص ، فقرَّر أنْ يجمع المعلومات ، ويرتحل لأماكن كثيرة ، تدور فيها كثير من الأحداث ، حتى يتوصل إلى السَّر ، أو المعنى الذي ترمي إليه لفظة « مسيَّا » ، وأنْ يفكَّ رموزها. لذلك عرضت الرواية كثيراً من المشاهد السَّردية الدينية ، والسياسية ، والثقافية ، ومنها صورة الإعلام العربي الذي يشوه الحقائق ، ويفتعل الأكاذيب ضدَّ اليهود ، يقول السارد : ((**على الرّغم من الصُّورة القاتمة التي رسمها الإعلام العربي ، فإنَّ جماعة شهود يهوه ، جماعة مسالمة ، لا تهدفُ إلاَّ لغاية واحدة ؛ هي التعريف بالإله يهوه ، والتبشير بملكوت السَّماء في الأرض**))[٣٢] ، ومن المشاهد الأخرى ما عرضته رواية « الجاسوس ٣٨٨ » ، للروائي المصري « عبد الله يسري » ، حول ممارسة الصحافة المصرية ، الدور نفسه الذي مورسَ من الصُّحف الإسرائيلية ، باعتمادها الحرب النفسية ضد اليهود المتواجدين في داخل المحيط العربي ، وبخاصَّة يهود مصر ، إذ بدأتْ الصُّحف المصرية وإذاعتها بتعبئة مشاعر مواطنيها ضدَّ اليهود ، قبيل الحرب مع إسرائيل ، وهذه التعبئة لم تستثنِ مكاناً محدَّداً ، وإنما شملتْ أرجاء مصر كلها ، حتى السجون ، والزنازينَ ، لمْ تخلُ من لُغة العنف ، والتهديد ، والوعيد ، والسُّخرية ، فـ ((

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

الصَّحافة المصرية ، تعكسُ كلّ يوم الاستعداداتِ للحرب ، وتعبئُ المشاعرَ ضدَّ إسرائيل ، حتى إنَّ أحدَ السُّجناءِ ، قام برسمٍ كاريكاتوري على جدران السجن ، ليهوديّ تـــُـرْكـــَـلُ مؤخرتهُ بحذاء جندي مصري ، حتى الموت. الراديو يُطلقُ بصوتٍ عالٍ داخل ساحاتِ السجن ، ليسمع السُّجناءُ الموسيقى العسكرية ، والخطابات الحماسية ، والتعليقات السياسية)).(٣٣)

ولا تختلف الصَّحافة العراقية في تأجيج الموقف الشعبي العام ضدَّ اليهود العراقيينَ ، وذلك لتبنيها موقفاً قومياً عربياً ، بعدّ القضية الفلسطينية من أولوياتها ، ورفضها القاطع لإقامة دولة يهودية على الأراضي الفلسطينية ، إلى جانب محاولات بعض الأقلام العراقية النخبوية الواعية ، التي بيَّنتْ أنَّ هناك فرقاً كبيراً بين الحركة الصهيونية ، وتوجهاتها الاستيطانية والدموية ، وبين الديانة اليهودية ؛ لكنَّ الموقف العام يتمثل بتبني بعض الأقلام فكراً قومياً يعدُّ اليهود العراقيينَ ، متآمرينَ على وطنهم ، حتى أصبح اليهود العراقيينَ ممتحنينَ بوطنيتهم ، وانتمائهم ، وهويتهم.

وتعدُّ رواية « حمَّام اليهـــــــودي : حكاية رجل اسمه يعقوب شكر الله » ، للـــــــروائي العـــــــراقي « علاء مشذوب » ، من الروايات العربية التي عالجتْ إشكالية الإعـــــــلام العـــــــربي وصحافته الصفراء. وتقوم هذه الرواية على قصَّة « يعقوب اليهودي » ، الذي يهاجر بسبب الظروف القاهرة من بغداد إلى كربلاء ، ويعيش فيها هو وعائلته ، ويشتري بيتاً ، ويبني حمَّاماً ، لكنَّ الرجل ، يصطدم بطبيعة المدينة المقدسة ، وعد اليهود أنجاساً ، ولا يجوز للمسلمين الاستحمام ، في حمام اليهودي. وهنا تبدأ معاناته ، ومعاناة عائلته ، إلاَّ أنه استطاع أنْ يتعايش ، ويتكيف مع المجتمع الكربلائي المسلم. ورصدت الرواية ، الأجواء المشحونة بالكراهية لليهود ، التي أججها الإعلام والصحافة العراقية ، بتغذية مظاهر الانتقام ، والثأر من اليهود. يقول الراوي : ((**كنتُ أسمعُ هسيسَ الناس ، وعداءَ تجاه اليهود ، دون أنْ يفرق بعضهم بين اليهود ، كمواطنين عراقيينَ ، وبين الصهاينة ، أصحاب الفكر الاستيطاني ، التوسُّعي ، على حساب عرب فلسطين ، حتَّى الصُّحف التي كنتُ قد اعتدتُ على قراءتها أصبحتْ صفراء في اختيارها ، ومثلها الإذاعة التي تنقل الأخبار ، والأغاني الثورية ، التي تحضُّ على الانتقام ، والثأر**))(٣٤) ، ويصور السَّردُ تناقض الصحافة ، والإذاعة العراقية في بث الأخبار ، وتضليلها ، وتضخيم الأحداث ، وتزييف الحقائق ، يقول الراوي : ((**بعضُ الأخبار التي تبثها الإذاعات ، والصُّحفِ صحيحة ، فقد عمدَ الصهاينة إلى التقتيل ، والتهجير بالفلسطينيينَ ، كما عمدتْ إلى مصادرة أملاكهم ، بينما كانتْ الأخبار الأخرى في الاعتداء على أماكنهم المقدسة ، فيها كثير من التضخيم**)).(٣٥)

ويتضحُ لنا ، أنَّ الإعلام العربي ، وصحافته ، لا يختلفان في ممارساتهما ، وأساليبهما عن إعلام وصحافة الدول الأخرى ؛ لكنهما ، أصبحا أداتينِ طيعتين ، تابعتين إلى أيديولوجيا السلطة الحاكمة التي ترسم ملامح خارطة الإعلام ، خدمة لأهداف ضيقة ، وبعيدة عن القضايا الوطنية ، وهموم الجماهير ؛ لأنها لا تلتزم أحياناً بالقيم ، والمعايير الأخلاقية في خطاباتها ، ورسائلها الإعلامية.

ج – الإعلام والصَّحافة العالمية :

يُعدُّ الحقّ في الاتصال ، ضرورة مهمة ، وقضية محورية ، تتطلَّع إليها الدول الكبرى ؛ لفرض هيمنتها الفكرية ، والثقافية على الساحة الدولية ، وأنظمة الاتصال الدولية ، من أكثر الأنظمة تأثيراً في تغيير المواقف ، والآراء ، أو تثبيتها ، وتعدُّ في الوقت نفسه أكثر تعقيداً من أنظمة الاتصال الأخرى ؛ لأنها ((تضمُّ مجموعة معقدة من التفاعلات ، والعلاقات بين النـــُظم الإعلامية المختلفة في البيئة الدولية ، بما تعكسه من صراعات أيديولوجية ، وتناقضات سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية))(٣٦) ، ولقد عملتْ هـــــــذه الأنظـــــــمة في

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

مـــــــــراحل مختـــــــلفة عـــــــلى ((الإفادة القصوى من طاقات الوسائل الإعلامية ، لتسويق سياستها ، واستراتيجياتها ، المـــُـعلـَنة ، والسّرية في مختلف دول العالم)).[٣٧]

ويُشيرُ الإعلام الدولي إلى ((تحليل الإعلام ، وأنماط وسائل الإعلام الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتقنية ، وتأثيراتها ، عبرَ ، وبين البلدان المختلفة))[٣٨] ، وينصب تركيزه ، أكثر على ((أوجه وسائل الإعلام ، ونظم ، وتكنولوجيات الإعلام الدولية ، في مقابل تركيز أقل على المستوى المحلي ، وحتى القومي))[٣٩] ، وتعتمد أنظمته على الأساليب المختلفة ، لاستمالة الرأي العام ؛ حيث تقوم أغلبها على ((الاختيار ، والتقليل من أهمية الشيء ، والإعادة ، والتكرار ، والحملات الدعائية ، والجدل والمناظرة ، وإثارة الإنفعالات والعواطف ، وتحويل الأنظار ، والنقد الساخر ، والتهديد ، والوعيد ، والتضليل ، وتشويه الحقائق))[٤٠] ، وبث الإشاعات ، والترويج للأخبار الملفقة ، تنفيذاً لمخططاتها في الاحتكار ، والهيمنة السياسية ، والفكرية ، والثقافية على الشعوب الأخرى. وبذلك استطاعتْ الدول الكبرى مثل ، أمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، من استغلال الوسيلة الإعلامية ، وتسخيرها خدمة لمصالحها ، والحفاظ على سيادتها ، وأمنها ؛ لأنَّ الرسالة الإعلامية ، بما تحمله من مضامين أيديولوجية ، تكون ((أداة فاعلة في توجيه الناس ، والسيطرة على خياراتهم ، من دون إشعارهم بذلك ، كي تبقى أجواء الحرية ، والديمقراطية سائدة ، بلا مساس على المستوى الظاهري)).[٤١]

وكان للرواية العربية دور كبير ، في رصد إشكالية الإعلام الدولي ، وفاعليته في توجيه السياسة الدولية ، وتمرير مضمرات رسائله الأيديولوجية في خطاباته الإعلامية ، بما تحمله من تأثير على الرأي العام ، وتغيير المواقف ، والآراء ، والعمل على تثبيتها ، بم يخدم مصالحها في فرض هيمنتها على الساحة الدولية.

وتعدُّ رواية « أحببتُ يهودية » ، للـــروائي السعودي « وليد أسامة خليل » ، واحدة من النماذج الـــــروائية العربية التي عالجت إشكالية الإعلام الدولي ، وصحافته. وتحكي هذه الرواية قصة حب بين الكاتب الفلسطيني الشاب « أمين ملحة » ، وبين سيدة الأعمال اليهودية « مريم » ، التي تحاول بناء نفسها ، وهويتها بعد أنْ فشلتْ في أكثر من زيجة ، أما الكاتب الشاب فينحدر من أب فلسطيني ، وأم بريطانية ، توفيت زوجته في حادث سيارة ، فأصبح منغلقاً على نفسه ، حتى جاء الانفراج على يد صديقه الإنجليزي « أنطوني » ، الذي سعى جاهداً في إخراج صديقه من أزمته ، فيحدد له موعداً مع فتاة ، لكنها لـم تأتِ ، وشأت الصدفة أنْ تكون السيدة اليهودية بديلاً عنها ، وتبدأ قصة الحب في مدينة لندن ، لكنه ينتهي بموت « أمين ملحة » في حادث تفجير ، ليترك في أحشاء « مريم » اليهودية جنيناً تنتظر أنْ يبصرَ النور ، ورواية تحمل عنوان « أحببتُ يهودية » ، تحمل روحاً في ذاكرتها ، أينما حلَّتْ ، وارتحلت.

ورصدت الرواية ، دور الأنظمة العالمية في فرض ثقافتها ، التي تهدفُ إلى إشاعة الفرقة ، والكراهية في المجتمعات المتعددة ثقافياً ، فمفردات لغتها الإعلامية تحمل معانٍ سلبية ، تتمثل في الاحتقار ، والسُّخرية ، والدونية ، ورفض ثقافة الاختلاف ، حتى استطاعتْ وسائلها الإعلامية من التحكم بعقول الناس ، واحتكارها فكرياً ، وثقافياً ، يقول السارد : ((**كانَ الإعلامُ ، قدْ تحكَّمَ بعقول الناس ، وأخضعهم ، وروَّضهمْ لكرهِ بعضهم البعض ، فصوَّر العربيَ كأداةٍ للجنس ، ومتخلف يملكُ قصوراً ، وأموالاً لا تعدُّ ولا تحصى ، وقاتل محترف ، يخلو من الرحمة ، وصوَّرَ اليهودي ، بأنفِهِ الحادِ ، طمَّاع يبحثُ عن المال ، ويُسهلُ القوادة في كل مكان يذهب إليه ، ويسيطرُ على الجميع بأفكاره الشيطانية ، أمـَّا المسيحيُّ ، فيظهرُ كإنسانٍ ، ناكر لوجودِ الله ، ويطردُ ابنهُ في حال بلغ الثامنة عشرةَ من بيتهِ ، وطابع الحُريَّة الجنسية ، والإجهاض متوفر في كل بيت**)).[٤٢]

وفي رواية « موعد في القدس » ، للروائي الجزائري « صلاح شكيرو » ، يهدفُ السَّرد إلى تفكيك ، وتهديم الخطاب الإعلامي الغربي الذي يتحرك ضمن الأيديولوجية الأمريكية ، والصهيونية في إشاعتهم قضية السلام

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

بين الطرفين المتصارعين ، إلاَّ أنَّ مضمرات رسالته الإعلامية تهدفُ إلى القضاء على الانتفاضة الفلسطينية ، وردع مطالبهم المشروعة في العيش بأمان وسلام.

وتحكي هذه الرواية ، قصَّة المخـــــرج الإيطـــالي ، الفـــلسطيني الأصـــــــل « غسان / جوليانو » ، الذي شهد مأساة التشريد ، والتهجير ، والقتل في طفولته ، وبخاصَّة تلك الممارسات التعسفية التي تعرَّض لها أبناء قريته القريبة من مدينة « حيفا » ، وتلعب الأقدار دورها بأنْ يعيش في إيطاليا ؛ إلاَّ أنه يعود إلى فلسطين ، بجواز إيطالي لكي يقوم بتصوير فيلم حول الصراع المحتدم بين الفلسطينيينَ ، والإسرائيليينَ ، وكانتْ عودته ، وتصويره فيلمه ، يخفي مضمراً فكرياً ، يتمثل في إمحاء الفكرة التي زُرِعتْ في العقل الغربي ، وبخاصة زوجته الإيطالية ، بأنَّ ليسَ كلُّ عربي ، مسلم – هو بالضرورة – إرهابياً ، وأثناء الشروع بتصوير الفيلم ، أخذت الأطراف المتصارعة ، تبحث عن فرصة لتبييض صورتها.

ويصور السَّـــــرد ، رؤية الإعـــــــــلام الغـــــربي لقضية السلام بين الفلسطينيين ، والإسرائيليينَ ، يقـــول الـــــــراوي : ((**الإعلامُ الغربيُّ ، والغربيونَ ، عموماً ، عندما يتطرَّقونَ إلى موضوع السلمِ في المنطقة ، لا يهمهم سِوى القضاءِ على الانتفاضة**)).[٤٣] ، ويكشفُ السَّرد الصورة المشوَّهة ، والمخادعة ، والتضليلية ، التي تصوّرُ فيها وسائل الإعلام الغربية الفلسطيني ، بوصفهِ مجرماً ، متمرساً على القتل ، يقول الراوي : ((**لقدْ صُدِمتُ ، بواقع آخرَ ، مخالفٍ تماماً لِما ، كُـنَّا نتصوَّرُهُ ، ونراهُ عبرَ المـــُغالطة ، والكذب ، والخديعة التي يبثُّها الإعلامُ الغربيُّ ، بينما يحجبُ عنـــَّا ممارساتِ إسرائيلَ ، التي تمثلُ صورة عن إرهاب الدولة المنظَّم في وجـــــه شعبٍ ، كـــــلُّ ما يُريدُهُ ؛ هـــــو العيش في سلام**)).[٤٤]

ونستنتجُ ، أنَّ الإعلام الدولي ، يمارس هيمنته الثقافية ، والسياسية ، على الدول الأخرى ، باتباعه الأساليب ، والآليات الإعلامية ، التي ترسم ملامحها الدول الكبرى ، للحفاظ على هيمنتها ، وسيادتها ، وأمنها ، من خلال تمرير رسائلها الإعلامية ، التي تحمل في خطاباتها مضمرات أيديولوجية سياسية ، الهدفُ منها فرض السيطرة ، والاستحواذ على الآخر ، فكرياً ، وسياسياً ، واقتصادياً ، وثقافياً.

ثانياً – أيديولوجيا التجسُّس والمؤامرة :

يُعدُّ التجسُّسُ ، وسيلةً هامَّة ، تلجأ إليها الدولُ ، والشعوبُ ، والجماعاتُ ، للاطلاع على أسرار غيرها ، ومعرفة ((أحوالها ، وأخبارها ، وثرواتها العلمية ، وقدرتها العسكرية ، إلى جانب أنها تحاول أنْ تحمي ذاتها في داخلها من الانتفاض ، أو التمرُّد ، أو المؤامرات))[٤٥] ، ويقودها ذلك إلى استخدام كلّ الوسائل ، والأساليب ، والأجهزة من أجل حصولها على معلومات دقيقة ، تكشفُ من خلالها إمكانيات العدو ، حيث اتخذت دول العالم جميعها ، من أجهزتها السرية ((وسيلة لجمع المعلومات الفنية ، وغير الفنية ، من سياسية ، وعسكرية ، واقتصادية ، وصناعية))[٤٦] ، وبذلك أصبح التجسُّس عندها ، أداة هامَّة ، لجمع معلوماتها ، ووسيلة دفاعية ، للحفاظ على أمنها ، والدفاع عن نفسها.

والتجسُّسُ ؛ هو التفتيشُ في بواطن الأمور [٤٧] ، أو ((البحث ، والتفتيش ، عمَّا يخفى من الأخبار ، والمعلومات السرية ، الخاصَّة بالعدو ، بوساطة أجهزة التجسُّس ، بقصد الاطلاع عليها ، والاستفادة منها ، في إعداد خطَّة المواجهة))[٤٨] ، وتعدُّ الجاسوسية أيديولوجيا هامة في نظرية المؤامرة ، عندما تحاول بعض الدول ، حماية نفسها من التمرُّد ، والمؤامرة.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

وقبل أنْ نطرح تمثلات اليهودي في الرواية العربية لنسق أيديولوجيا التجسُّس ، والمؤامرة ، لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ هناك روايات عالمية ، افتتنتْ بعالم الجاسوسية المبهم ، والغامض ، والمليء بالمغامرات والمشاهد البوليسية ، ومن أبرزها سلسلة « جيمس بوند 007 » ، للأديب البريطاني « إيفان فليمنج » ، ١٩٠٨ – ١٩٦٤م ، وروايات الكاتب البريطاني « جون لي كير » ، ١٩٣١ م ، وبطل رواياته « جورج سميلي ».

وهناك نماذج روائية عربية ، رصدتْ ظاهرة التجسُّس ، والجاسوسية ، بشكل دقيق ، حيث أنها وقفتْ على تفاصيل ، ودقائق عالم الجاسوسية الغامض ، وما يتمتع به الجاسوس من قدرات على التخفي ، والتنكُّر ، والاختلاق ، والذكاء ، والفطنة ، والمراوغة ، والشجاعة ، وسرعة البديهة ، وأساليبه في إقامة علاقات اجتماعية ، مع شرائح المجتمع الذي ينوي التجسُّس عليه ، وما في هذه العمليات من مخاطر ، ومجازفات بالنفس.

وتعدُّ رواية « الجاسوس ٣٨٨ »[٤٩] ، للروائي المصري « عبد الله يسري » ، نموذجاً روائياً عربياً ، استطاع أنْ يعالج أيديولوجيا التجسُّس بشكل فاحص ، ودقيق ، وعدَّها إشكالية ثقافية ، تمثلتها الشخصية اليهودية في نصّها السَّردي. وتصورُ الرواية الأساليب التي اتبعها الجاسوس اليهودي ، الألماني « لوتز » ، في عملية تجسسه لصالح إسرائيل ، أنْ يقيم صلات اجتماعية ، مع طبقات المجتمع المصري ، وبخاصَّة ضباط سلاح الفرسان ، ممَّنْ يمثلون صفوة المجتمع المصري ، حتى يستطيع الوصل إلى هدفه بيسر ، وسهولة ، وقد شفع ذلك بوسائل الإغراء التي تدرَّبَ عليها ، ليطيح بالآخر ، يقول السارد : ((**الهدايا الكثيرة ، وزُجاجات الشمبانيا غالية الثمن ، المتوافرة في الحفلات التي يُقيمها لوتز في منزله ، والتي يختتمها بحفلة قبل سفره ، وعودته إلى ألمانيا**))[٥٠] ، ومن الوسائل الأخرى ، أنْ يراقب الشارع المصري بحذر شديد ((**عينه المدرَّبة ، لاحظتْ أثناء سيره في شوارع القاهرة ، النظام الاستخباراتي ، العين على العامة ، بجانب ضجيج المقاهي ، والثرثرة التي تتبادلُها الأفواه ، كان يرى دائماً المدينة كلّها ، وكأنها حيوان ، ناعس ، لكنه أرق**))[٥١] ، ومن ثم يحدد هدفه الذي يريده ((**تحديد أماكن التحصين المصرية ، تحديد أهم الإنشاءات العسكرية ، والتحري بشكل كامل عن البرنامج النووي ، لهؤلاء المصريينَ**))[٥٢] ، وحتى تنجح المهمة ، يجأ الجاسوس إلى مَنْ يساعده في تحقيق هدفه ، وإنْ كانت مهمة الكشف عن هويته ، ومهنته ، فيها الكثير من المغامرات ، والمخاطر ، حتى وإنْ كان من أقرب الناس إليه ، وفعلاً استطاع أن يوفق في الاختيار ، فكانت خطيبته الألمانية « فالتورد » ، شخصاً مناسباً ، وقادراً على إداء المهمة ، بلا خوف ، ولا ضجيج ، فكانت الأداة المهمة التي سخرها الجاسوس في تحقيق الهدف المنشود.[٥٣]

وتطرحُ رواية « الجاسوس العثماني » ، للروائي المصري « محمد معروف » ، ظاهرة التجسُّس ، بشكل مغاير عن الرواية السابقة ، في الشخوص ، والأحداث ، والزمان ، لكنها تشتركُ معها في المكان ، وبعض من معاني الجاسوسية. وتدور الرواية ، حول وجود مستند ألماني ، سري ، منذ العام ١٩٤٦م ، يتحدَّث عن تاريخ الشبكات الجاسوسية التي اجتاحتْ الشرق الأدنى ، وقد أسَّسها المستشار الألماني « بسمارك » ، خارج أسوار المؤسسة العسكرية ، والحكومية القيصرية ، حيث قام بزراعة أبرز جواسيسها ، في الباب العالي العثماني ، يحمل اسماً رمزياً ، ومشفراً ، ومستعاراً ، هو « لوفنبرانكة » ، الملقبُ بـ « مخلب الأسد » ، ويُعرفُ هذا الجاسوس باسم « طلعت رُستم » ، كان يعمل موظفاً في الدولة العثمانية ، تعود أصوله إلى فرقة « الدونمة »[٥٤] ، اليهودية ، التي أسسها « شبتاي تسفي » ، ولقد أراد العمل لصالح ألمانيا ، ليكسب الدعم لقضايا فرقته المستضعفة ، حتى انتهتْ به الحال إلى القاهرة ، ليستعين بيهود الدونمة ، المتخفينَ ، والمتنكرين ، بوصفهم مسلمين من أهلها.

ويكشفُ السَّرد ، أنَّ الجاسوس العثماني ، كان متخفياً في مصر ، ومنتحلاً اسماً ، ومهنة غير حقيقيين ، ومن المعروف أنَّ الانتحال جزء من عمل الجاسوسية ، يقول السارد : ((**كانَ الرَّاجل التركي ، مقيم في مصر ، وهو منتحل اسم ، ومهنة غير حقيقية ، وإنه غالباً كانَ من المسؤولينَ عن مذبحة الأرمن ، اللي حصلت أثناء الحرب**

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

، وإنه أكيد ، كان متخفي في مصر هرباً من عمليات الاغتيال الانتقامية ، اللي بيقوم بيها الحزب الثـــــوري الأرمني ، ... ، واللي هو طلعت رستم طبعاً)).(٥٥)

ويكشفُ السَّرد عن الأسباب ، والدوافع التي كانـــــت وراء امتهـــــــــانه للتجسُّـــــس ، يقـــــــول الســـــــــارد : ((**أحكي لكَ ، كلّ هذا ، لأضعكَ في الإطار التاريخي ، والسياسي المعاصر ، لمرحلة تحولي الفكري ، والعقلي في تلكَ الفترة ، من المواطن العثماني الفخور ، إلى شخص فقد إيمانه بهذه الدولة الهشَّة ، المبنية على أوهام التعايش السلمي ، شخص صارَ يؤمنُ ، كما شعوب أوروبا في ذلك الوقت ، وحتى الآن ، فقط بالمصلحة الوطنية القومية ، تحول تفكيري تدريجياً حتى انصعتُ إلى توجهات العائلة تماماً ، وانصبَّ همي كلُّه لمصلحة فرقتي ،فرقة الدُّونمة**))(٥٦) ، ويفصح النصُّ ، أنَّ امتهان التجسُّس ، لم يكن رغبة في المغامرة ، والمخاطرة ، ولا الطمع ، أو التكسُّب الشخصي ، وإنما بدافع ديني ، ووطني ، يتمثلُ بالدفاع عن فرقته المضطهدة ، حتى من بني جنسها اليهود ، وعدّهم مارقين ، ومتطرفينَ.

وقد تصبحُ أحلام الجاسوس ، أكبر من الجاسوسية نفسها ، إذ تتحوَّل إلى المؤامرة ، وإعلان استقلال ملتهم أمام الملأ ، ولكنَّ ذلك يصطدم بحاجز كبير ، يتمثل بأنْ لا حليف لهم يساعدهم في تحقيق هذا الحلم ، يقول الســـــارد : ((**بدأت تراودُني فكرة استقلال فرقة الدونمة ، والقيام على نفسها ، ماذا لو تجمَّع كلُّ الدونمة في سالونيك – حيث أغلبية الفرقة – ومن ثم نعلنُ عن حقيقة أمرنا ، ونستقلُّ بسالونيك ، ونعلنها تحت حكم الدونمة ، شيء يشبه ، ما تهدفُ إليه الآن الحركة الصهيونية في فلسطين ، لكن فرقة الدونمة أمة ضعيفة ، مستضعفة ، لا تقدرُ أن تقوم على حالها ، ليسوا أمَّة كبيرة العدد ، كما البلغار ، أو الصرب ، وليس لهم حليف قوي ، يُشاطرهم الدين ، والعرق ، كما الإمبراطورية الرُّوسية**)).(٥٧)

وتسلُّطُ رواية « العرش والجدول » ، للروائية العراقية « ميسلون هادي » ، الضوء على أيديولوجيا التجسُّس ، والمؤامرة ، لكنها بشكل مغاير عن الروايتين السَّابقتين ، من حيث المساحة ، والمعالجة السَّردية ، وجنس الجاسوس ، وزمانه ، ومكانه ، فالذي يمتهن التجسُّس ، امرأة ، وليسَ رجُلاً ، ومكانها في بغداد ، وزمنها بعد اجتياح امريكا للعراق ، ودورها الكبير في عمليات الاغتيال ، والمؤامرة التي حصلت في بغدادَ ، ومدن عربية أخرى.

ورصدت الرواية في نصوصها السَّردية ، المظاهر المسلحة ، والاقتتال الطائفي ، والجو المشحون بالكراهية ، والعنف ، والقتل على الهوية ، والتهجير القسري ، ودخول العملاء ، وشبكات التجسُّس العالمية ، وأبرزها الموساد الإسرائيلي ، الذي جند العملاء ، وصنع المؤامرات ، ونجح في زراعة بذرة الطائفية ، والمذهبية ، في أرض خصبة لاحتضان بذورها.

ومن المشاهد السَّردية التي عالجتها الرواية ، دخول الجاسوسة الإسرائيلية « شيمون » ، إلى بغدادَ ، وكانت وجهتها الرئيسة ، المنطقة الخضراء ، وتنحدرُ « شيمون » ، من جدّ عراقي ، يهودي ، هاجر إلى إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨م ، ولقد دربها الموساد على اتقان اللهجتين العراقية ، واللبنانية ، واستطاعت العمل تحت ستار منظمة إنسانية ، لإغاثة المهجَّرينَ ، ويبدو أنَّ اختيار المهنة يُعدُّ أمراً هامـــّاً في أيديولوجيا التجسُّس ، والمؤامرة ، فمن طريقها يمكن جمع المعلومات المطلوبة بسهولة تامَّة ، فضلاً عن الإيقاع بالخصوم ؛ إلاَّ أنَّ هويتها الحقيقية يكشفها السرد ، يقول السارد : ((**إنها كانتْ عنصراً فعَّالاً في قسم العمليات ، وتجنيد العملاء في الموساد ، والذي يتولى القيام بأعمال التجسُّس في كافة البلدان ، حول العالم من خلال تجنيد بعض المراسلينَ ، والصُّحفيينَ ، والطُّلاب العرب الدارسين في الخارج ، أو العاملينَ في شركات النقل ، والطَّيران ، أما قبل ذلك ، فكانتْ تنتمي لقسم العمليات الخاصَّة ، الذي يقوم بمهام الاغتيالات ، والتصفية الجسدية للشخصيات الهامَّة ، التي تهدّدُ الأمن لإسرائيل ، انتقلتْ بعد ذلك لقسم الأبحاث الذي يتولَّى إعداد التقارير ، اليومية والأسبوعية ، والشهرية عن آخر التطورات ، وعلى مدار السَّاعة ، وتم مؤخراً تحويلها إلى قسم تجنيد العملاء ، والجواسيس في المناطق الرخوة**

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

، كقرى الحدود السياحية في مصر ، أو مناطق النزاعات ، والحروب كالعراق ، وذلك عن طريق المكاتب المنتشرة ، تحت ستار ، وهمي من شركات السياحة ، أو منظمات ، حقوق الإنسان)).(٥٨)

ومن الأمور الهامَّة ، التي يتدرَّبُ عليها الجاسوس ، التمويه ، والمراوغة في حال القبض عليها ، وأنْ يكون لديه الاستعداد النفسي لمواجهة الاتهامات ، والأساليب التي تفضحه ، وتكشفه ، وأنْ يتعامل معها بهدوء ، وروية ، وهذا ما حدث مع « شيمون » ، يقول السارد : ((**شيمون ، لا تتكلَّم بإبهام ، وغموض ، ولا تتصرَّف تصرُّفاً غامضاً ، كانت عادية جداً ، بادياً عليها ، أهم قاعدة من قواعد التدريب المخابراتي ، وهي إيَّاكم والحماسة ، أو التعجُّل في الجواب .. تجنَّب كلَّ ما يكشفُ بسرعة شخصيتكَ ، ولا تتعجَّل أنْ تخترع شيئاً من نفسِكَ ، لا تقبل أيَّ شيء كما هو ، ولا تنظر بسرعة إلى صداقة عاجلة ، أو إلى خصومة ظاهرة ، يجبُ أنْ تدقق بعناية في تقدير الأشياء ، وأخيراً فقد كانتْ قادرة على أنْ تخرج من الباب ؛ لتدخل من النافذة ، وتطارد غزالاً**)).(٥٩)

وتستعيد رواية «عين الشَّرق ، هايبرثيميسيا ٢١ »، للروائي السوري ، إبراهيم الجبين ، حكاية الجاسوس ، الإسرائيلي الشهير « إيلياهو كوهين » ؛ حيث حافظ على حضور « إخاد » ، بطل روايته الأولى « يوميات يهودي من دمشق » . وتقوم الرواية على علاقة « إبراهيم » ، بهذا الرجل اليهودي ، وحديث اليوميات الذي يشتبكُ فيه الماضي ، بالحاضر ، وقد ركزتْ الرواية على تعرية النظام الحاكم ، ونعتته بالدكتاتورية ، والظلم ، وتكوين مافيات سياسية ، وعنصرية ، تقتصُّ من جميع المعارضينَ ؛ فضلاً عن الدور الذي يلعبه حزب البعث في سوريا ، وإشاعته الفـــوْضَى ، والتفرقة ، والقيام بالمؤامرات ، وتفكيك لحمة الشعب السوري ، ويتحدث الراوي بأنه أحد المضطهدينَ ؛ فهو متهم بالتطبيع مع إسرائيل من خلال كتاباته ، ورصدتْ الرواية ، أيضاً ، شخصيات عربية ، وأجنبية كثيرة ، وبيَّنتْ دورها في الأحداث السياسية في سوريا ؛ لكنها ركزتْ على شخصية الجاسوس اليهودي « إيلياهو كوهين » ، واستعرضتْ حياته ، ودوره السياسي ، واتهامه بالتجسُّس لصالح إسرائيل ، حتى إعدامه ، وكلُّ هذه الأحداث ، كانتْ قابعة في ذاكرة الراوي ، وصديقه اليهودي.

يكشفُ السرد أنَّ الجاســـــوس ، عاش في ســـــوريا ، بداية الستينيات ، وعـــــرفَ عنه بأنه مـــهاجر ســـــــوري ، اسمه « كامل أمين ثابت » ، يقول السارد : ((**إيلياهو ، كانَ منْ حلب ، والدُهُ شاؤول ، أنجبهُ في الإسكندرية في مِصرَ. هاجرَتْ عائلتهُ إلى إسرائيل ، بعد إعلانها كدولة بسنة واحدة فقط ، وبقي إيلياهو ، وحيداً في مصرَ. كانَ يعملُ تحت قيادة إبراهم دار ، وهو أحد كبار رجال الاستخباراتِ الإسرائيليينَ ، وهو ذاته الشخصية الشهيرة ، جون دارلينغ ، الذي شكَّلَ شبكة للمخابرات الإسرائيلية في مصر، نفذتْ سلسلة من التفجيرات ، ضدَّ المنشآت الأمريكية ، واستهدفتْ اليهود المصريينَ لدفعهم إلى الهجرة ، إلى إسرائيل. في العام ١٩٥٤ تمَّ إلقاء القبض على أفراد شبكة ، جون دارلينغ ، في قبضة لافون ، وكان إلياهو من المحتجزينَ ، ولكن بطريقة ما خرج بريئاً ، بعد التحقيق معه ، بعد عام واحد ، سافر من مصر إلى إسرائيل ، ليلتحق بالوحدة ١٣١ في جهاز أمان ، لمخابرات الجيش الإسرائيلي ، الذي أرسله إلى مصر في مهمة جديدة ، فاعتقلته المخابرات المصرية في أكتوبر من العام ١٩٥٦ ، وتم الإفراج عنه ليعود إلى إسرائيل ثانية ، بعد سنة من الإقامة في مصر ، ماذا فعل إلياهو في مصر طيلة عام كامل بعد الإفراج عنه ، مع أنه كان من الثابت للمخابرات المصرية انتماؤه لجهاز أمان الإسرائيلي ؟**))(٦٠) ، وبعد هذا الوصف ، وهذه التساؤلات الكثيرة ، يفاجئنا السرد ، بتعاطفه مه الجاسوس ، وبإلقائه اللائمة على حكومته التي أفشلتْ نجاحاته ، وبدء برسم ملامح إيجابية ، تختلف عن ملامح الجاسوس في الروايات السابقة ، يقول الراوي : ((**كانَ إلياهو ، قومياً ، عربياً ، وهو مؤسس جريدة الحياة ، أول صحيفة رسمية تنادي بالقومية العربية ، من قلب دمشق ، وبرعاية الملك فيصل ذاته ، أصبح عقلاً استخباراتياً إسرائيلياً لاحقاً ، حينَ فشل مشروعكم القومي العربي ، بلْ حين أفشلوه ، رُبَّما حين أفشلوه ، حين دمَّروا الدولة العربية في القرن العشرين ، بقوات احتلال فرنسية ، انتقل فقط مسافة خمسينَ كيلومتراً ، ما بينَ دمشق وفلسطينَ ،**

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

قبل أنْ يصبحَ اسمها إسرائيل ، كان دمشقياً ، ولم يكن حلبياً))[٦١] ، ويستمرُّ السَّرد في كشف الصفات الإنسانية التي يتمتع بها الجاسوس ، وهو في الحبس ، يقول الراوي : ((**في زنزانته المنفردة ، كان إلياهو ينتظر ، ينتظر ، وينتظر ، لكن شيئاً لم يحدث ، أخذ يفكر بناديا زوجته العراقية التي تركها في إسرائيل ، دون أنْ تعرف شيئاً عن مهمته. فكَّر في صوفي ابنته ، وفكر في رسالته الأولى إلى الموساد ، تلك الرسالة التي لم تكنْ أكثر من رقمين ٨٨ ، وكانت تعني : وجدتُ بيتاً لأسكنَ فيه في دمشق ، كان بإمكانه العودة إلى إسرائيل بعد أنْ حقق الكثير ، لكنَّ الشام كانتْ قدْ سرقت عقله وقلبه ، فبقي فيها مواصلاً المغامرة**))[٦٢] ، بعدها يحاول السرد توضيح الصورة الحقيقية ، لهذا الرجل اليهودي ، وكيف تورَّط حزب البعث في تصفيته ، وإلقاء تهمة التجسُّس عليه ، يقول الراوي : ((**تمتْ تصفيته بمشهدية كفيلة ، بضخ المزيد من العداء ، لإسرائيل ، حينَ قيلَ إنه كان جاسوساً لها ، وإنَّ القيادة البعثية في دمشق ، قد اكتشفتْ أمره ، وأعدمته ثأراً لمبادئها ، وحرصاً على أسرارها العسكرية ، وهيبتها القومية العربية ، لكنَّ إلياهو كوهين ، من جديد ، كان اليهودي الشرقي الذي تمَّتْ التضحية به ، مثله مثل بقية الشرقيينَ ، يهوداً ، ومسلمينَ ، ومسيحيينَ ، السكان الأصليونَ الذين تمتْ إبادتهم بهذه الصورة ، أو تلك**))[٦٣] ؛ لتنتهي قصته بإعدامه في ساحة المرجة ، على الرغم من أنَّ عمليات الإعدام ، تتمُّ في ساحة العباسيينَ ، للخارجينَ عن القانون ، وبذلك رسم السرد صورة مغايرة للجاسوس ، عن التي يرسمها الواقع ، ونفي الصفات السلبية عنه ، والتعاطف معه.

أوضحتْ الرواية العربية ، مدى ارتباط التجسُّس ، بالمؤامرة ، بشكل وثيق ، فلا تحاكُ مؤامرة ، من دون تجسُّس ، وجمع للمعلومات ، ومعرفة إمكانيات الآخر كافة ، ولا تتم هذه العلاقة من دون وجود محرك ، ومسؤول يتمثل بالشبكات الجاسوسية ، التآمرية ، المنظمة ، التي تديرها منظمات ودول كبرى ، من أجل بسط هيمنتها ، وسلطتها ، وإضعاف الدول الأخرى ، والاستحواذ على مقدراتها العسكرية ، والاقتصادية ، واحتكارها فكرياً ، وثقافياً ، بوساطة هذين النسقين. وقد رسمتْ أغلب النماذج الروائية صورة سلبية للجاسوس اليهودي ، ورصدتْ ملامحه كافة على أرض الواقع ، عدا رواية واحدة ، تعاملتْ بإيجابية معه ، وإظهرت الجوانب الإنسانية ، فضلاً عن نعته بالمظلوم ، الذي وقع تحت طائلة المؤامرة التي تمارسها الحكومات العربية ، متجسدة بالأحزاب التسلطية الحاكمة ، التي تريد الإطاحة بالخصوم ، ضمن دوافع خفية ، بعيداً عن مسميات العروبة ، والقومية ، وغيرها ، بخاصَّة مع اليهود الشرقيين في مناطق الشتات العربي ، واتهامهم بالتجسُّس ، والولاء لإسرائيل ، ونفي الوطنية والانتماء عنهم.

الخاتمة :

ولا بـُـدَّ من الإشارة إلى أنَّ نتائج الدراسة ، من صميم البحث ، لا من خارجه ، ويمكن إيجازها ، بالشكل التالي :

١. يعدُّ مفهوم الأيديولوجيا من المفاهيم المعقدة ، والمتشعبة ، نظراً لثرائه ، وتعدُّد ميادينه ، ويكمنُ تعقيده في تحليلاته الثقافية ، إذ أنه يستعمل في التبادل مع مفهوم الثقافة نفسها ، حتى أصبح مفهوماً مراوغاً ، وإحالته على الحقول الأدبية ، جعله أكثر تعقيداً ، وغموضاً ، وإيهاماً ، إنْ لم نتمكن من الوقوف على معانيه ، وكنـــهـــهُ في الأنساق الثقافية.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

٢. كشفتْ الرواية العربية في معالجاتها السردية ، لتمثلات النسق الأيديولوجي ، أنَّ أيديولوجيا الإعلام ، والصحافة ، واحدة في كل المجتمعات ، تنشدُ الهيمنة ، والتسلُّط ، فلا يختلف الإعلام الإسرائيلي وصحافته عن الإعلامين العربي ، والدولي وصحافتهما ؛ وذلك لدور الإعلام البارز في بناء هيكل الدول ، والحفاظ على سيادتها ، وأمنها.

٣. ركَّزت الرواية العربية ، في طرحها السَّردي على الرسالة الإعلامية ، والصُّحفية ، وما تتضمنه من مضمرات أيديولوجية ، كامنة في لغة نصوصها ، الهدف منها الهيمنة الفكرية ، والثقافية على شعوبها ، أو هيمنة الدول الكبرى على بقية الدول وشعوبها ، بحيث تخرج الرسالة الإعلامية عن مضامينها الإنسانية ، فتعتمد الكذب ، والتضليل ، والتلفيق ، وما تحمله هذه المظاهر من معان سلبية استطاعت من خلالها من التحكم بعقول الناس ، واحتكارها فكرياً ، وثقافياً.

٤. لم تختلف الرواية العربية في معالجتها لموضوع التجسُّس ، والمؤامرة عن الروايات العالمية ؛ إذ يمكنُ أنْ نعدَّ بعض نماذجها تقليداً لهذه الروايات ، بما يتعلق بالمغامرة ، والمخاطرة ، والمشاهد البوليسية ، ومواصفات الجاسوس ، من ذكاء ، وحنكة ، وتنكر ، واختلاق ، ودهاء ، وشجاعة ، والقدرة على المراوغة ، وسرعة البديهية في الدفاع عن نفسه ، أو من هو مسؤول عنه ؛ عدا رواية « الجاسوس العثماني » ، التي اتخذت مساراً مغايراً عن روايات الجاسوسية ، بأنَّ الذي دفع الجاسوس لامتهان التجسُّس ، لا علاقة له بالطمع ، والمال ، والتكسب الشخصي ، وإنما لوازع ديني ، ووطني ، يتمثل بالدفاع عن فرقته المضطهدة من بني جنسها ، وغيرهم. فيما نحت رواية « عين الشرق » ، جانباً آخر مع الجاسوس ، ونفتْ عن الصفات السلبية ، ورسمتْ له صورة إنسانية ، ووسمته بالإنسان المظلوم الذي وقع تحت تأثير الأحزاب العربية المتسلطة ، التي تلقي التهم على بعض اليهود الشرقيين ، من أجل الإطاحة بهم.

الهوامش :

(١) لسان العرب ، للإمام العلاَّمة ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ ه) ، اعتنى بها : أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، مادة (نسَقَ).

(٢) نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة : نظرية الأنساق المتعددة ، جميل حمداوي ، ط ١ ، مكتبة المثقف العربي ، ٢٠٠٦م ، ص ٨

(٣) آفاق العصر : عصر البنيوية ، إيديث كريزول ، : تر : جابر عصفور ، ط ١ ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٣م ، ص ٤١١

(٤) المرجع نفسه والصفحة.

(٥) ينظر : التشابه والاختلاف : نحو منهاجية شمولية ، محمد مفتاح ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦م ، ص ١٥٩

(٦) مفاتيح اصطلاحية جديدة : معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، طوني بينيت وآخرون ، تر : سعيد الغانمي ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠١٠م ، ص ٢٣٢

(٧) المقامات ، السَّرد والأنساق الثقافية ، عبد الفتاح كيليطو ، تر : عبد الكبير الشرقاوي ، ط ٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠١م ، ص ٨

(٨) النظرية الثقافية والثقافة الشعبية ، جون ستوري ، تر : صالح خليل أبو إصبع ، وفاروق منصور ، ط ١ ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٣٦ه / ٢٠١٤م ، ص ١٧

(٩) النقد الروائي والأيديولوجيا : من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النصّ الروائي ، حميد لـــَحمداني ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، آب ١٩٩٠م ، ص ١٣

(١٠) مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية ، أندرو هيود ، تر : محمد صفار ، ط ١ ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين ، ع ١٨٣٠ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٢م ، ص ١٤

(١١) المرجع نفسه ، ص ١٨

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

(١٢) الأيديولوجيا واليوتوبيا : مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ، كارل مانهايم ، تر جمة وتقديم : محمد رجا ، عبد الرحمن الديريني ، ط ١ ، شركة المكتبات الكويتية ، الكويت ، أكتوبر ١٩٨٠م ، ص ١٢٩

(١٣) مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية ، ص ١٩

(١٤) دفاتر فلسفية : الأيديولوجيا ، محمد سبيلا ، وعبد السلام بن عبد العالي ، ط ٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٦م ، ص ٨ – ٩

(١٥) المرجع نفسه ، ص ٩

(١٦) النقد الروائي والأيديولوجيا : من سوسيولوجيا الرواية إلى النص الروائي ، ص ٣٥

(١٧) دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني : دراسة ميدانية على عينة من طلاب كلية الآداب ، جامعة الأزهر ، موسى عبد الرحيم حلس ، وناصر علي مهدي ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية ، مج ٢١ / ع ٢ ، ٢٠١٠م ، ص ١٣٥ – ١٣٦

(١٨) النقد الثقافي : تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، آرثر أيزابرجر ، تر : وفاء إبراهيم ، ورمضان بسطاويسي ، ط ١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٢١٠

(١٩) وسائل الإعلام وإعادة إنتاج السلطة ، روجي فولر ، تر : محمد خطابي ، مجلة علامات ، ع ٢٤ ، ب . ت ، ص ٧٧

(٢٠) المرجع نفسه والصفحة.

(٢١) أيديولوجيا الإعلام : محمد بن سعود البشر ، ط ١ ، دار غيناء للنشر ، الرياض ، ١٤٢٩ه / ٢٠٠٨م ، ص ١٢ – ١٣

(٢٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤ – ٣٥

(٢٣) الإعلام أدوار وإمبراطوريات : هزوان الوز ، ب . ط ، مكتبة الأسد ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠١٢م ، ص ١٥٢

(٢٤) المرجع نفسه والصفحة.

(٢٥) وارث الشواهد ، (رواية) ، وليد الشرفا ، ط ١ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمَّان ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ٢٠١٧م ، ص ٧٢

(٢٦) الزُّمرة ، (رواية) ، عمَّار الزبن ، ب . ط ، موقع كتائب الشهيد عز الدين القسَّام الإلكتروني ، فلسطين ، ٢٠١٥م ، ص ١٥

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٥ – ١٦

(٢٨) ينظر : بنت صهيون ، (رواية) ، شريف شعبان ، ط ٣ ، دار كيان للنشر والتوزيع ، الجيزة ، ٢٠١٤م ، ص ٦٠ – ٦٢

(٢٩) الإعلام موقف ، محمود محمد سفر ، ط ١ ، دار تهامة للنشر ، الكتاب العربي السعودي ٦٣ ، جدَّة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م ، ص ١٣

(٣٠) وسائل الإعلام الحديثة ، مدثر عبد الرحيم الطيب ، مجلة دراسات إفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، ع ٨ ، جمادى الآخرة ١٤١٢ه / ديسمبر ١٩٩١م ، ص ١٣١

(٣١) الإعلام أدوار وإمبراطوريات ، ص ١٨٤

(٣٢) مسيَّـا ، (رواية) ، عمرو الجندي ، ط ١ ، الدار المصرية اللبنانية ، محرَّم ١٤٣٦ه / نوفمبر ٢٠١٤ ، ص ٢٦٥ – ٢٦٦

(٣٣) الجاسوس ٣٨٨ ، عبد الله يسري ، ط ١ ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ١٤٢٩ه / يوليو ٢٠٠٨م ، ص ٢١١

(٣٤) حمَّام اليهودي : حكاية رجل اسمه يعقوب شكر الله ، (رواية) ، علاء مشذوب ، ط ١ ، دار سطور للنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٧م ، ص ٢٢٠

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧

(٣٦) الاتصال والإعلام في الوطن العربي ، راسم محمد الجمَّال ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، آب / أغسطس ١٩٩١م ، ص ١٩

(٣٧) الإعلام أدوار وإمبراطوريات ، ص ٩٧

(٣٨) الإعلام العالمي ، توماس . ل . ماكفيل ، تر : عبد الحكم أحمد الخزامي ، الطبعة العربية الأولى ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٢م ، ص ٩

(٣٩) المرجع نفسه والصفحة.

(٤٠) الإعلام أدوار وإمبراطوريات ، ص ٩٧

(٤١) المرجع نفسه والصفحة.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

(٤٢) أحببتُ يهودية ، (رواية) ، وليد أسامة خليل ، ط ٣ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، تموز / يوليو ١٤٣٦ه ـ ٢٠١٥ م ، ص ١٢٦

(٤٣) موعد في القدس ، (رواية) ، صلاح شكيرو ، ب . ط ، مطبعة دار هومة ، بوزيعة ، الجزائر ، ٢٠١٧م ، ١٥٠

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٠

(٤٥) التجسُّسُ وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، محمد راكان الدُّغمي ، ط ٢ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ١٤٠٦ه / ١٩٨٥م ، ص ٩

(٤٦) الجاسوسية الإسرائيلية وحرب الأيام الستة ، زفي الدولبي ، وجيرولد بالينغر ، تعريب : غسان النوفلي ، ب . ط ، ١٣٩٢ه / ١٩٧٢م ، المقدمة (ب).

(٤٧) ينظر : لسان العرب ، مادة (جَسَسَ).

(٤٨) التجسُّس وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، ص ٢٩

(٤٩) يبدو أنَّ هذه الرواية ، مستوحاة من قصَّة حقيقية ، هي « جاسوس في القاهرة » ، حيثُ كانتْ خطة المخابرات الإسرائيلية ، أن تهاجم العلماء الألمان ، وأن تهاجم كلَّ عمل علمي تقوم به مصر ، من داخل القاهرة نفسها ، ولقد تحرَّكتْ إسرائيل سياسياً ، بشكل علني ، وآخر سرّي ، وبدأتْ تستعد لشن أسلحة الهجوم ، ومن هنا كان القرار بضرورة وجود « جاسوس مقيم في القاهرة » ، وإعطائه مهاماً كبرى ، فوقع الاختيار على « جوهان وولفجانج سيجموند لوتز » ، الذي وصل القاهرة في ٧ يناير ، سنة ١٩٦١م ، حاملاً جواز سفر مدون به مهنته « مدرب خيول » ، وجنسيته بعده مواطناً من أمانيا الغربية. ينظر : الحرب الخفية ، قصَّة العلماء الألمان في مصر « جاسوس في القاهرة » ، محمود مراد ، ب . ط ، ب . ت ، ص ١٠١ ـ ١٦١

(٥٠) الجاسوس ٣٨٨ ، (رواية) ، ص ٢٦

(٥١) المصدر نفسه والصفحة.

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠

(٥٣) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٣٢ ـ ٣٤

(٥٤) الدونمة : فرقة من الفرق اليهودية المارقة ، نشأت أساساً على فكرة الإيمان ، بفكرة المسيح المخلّص في اليهودية ، لكنه ليس المقصود به هنا ، المسيح عيسى بن مريم (ع) ، وإنما مـــا يقابله في العـــــبرية ، الـــــذي يدعـــــونه « هامشيح » ، ويعدُّ « شبتاي صبي » ، مؤسس هذه الفرقة ، وكان واحداً من الذين ادَّعوا ذلك ، ولقد كانتْ حركته أبعدها تأثيراً ، وأكثرها استمراراً ، وبقاء في تاريخ اليهودية. ولقد ازدهرتْ هذه الفرقة في الإمبراطورية العثمانية ، في القرن السابع عشر ، وانتشرت في أنحاء متعددة في العالم أجمع. ينظر : فرقة الدُّونمة بين اليهودية والإسلام ، جعفر هادي حسين ، دراسات في العقائد والأديان (١) ، ط ٣ ، مؤسسة الفجر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩ه / ١٩٨٨م ، ص ١١ ـ ١٥

(٥٥) الجاسوس العثماني ، (رواية) ، محمد معروف ، موقع ساحر الكتب ، ب . ط ، رقم الإيداع ١٦٠٩٠ / ٢٠١٥م ، ص ١٨٣

(٥٦) المصدر نفسه ، ص٢١٥

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٦

(٥٨) العرش والجدول ، (رواية) ، ميسلون هادي ، ط ١ ، دار كتاب ، الدوحة ، قطر ، ٢٠١٥م ، ص ١٥٧

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨

(٦٠) عين الشرق (هايبرثيميسيا ٢١) ، (رواية) ، إبراهيم الجبين ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ، ٢٠١٦م ، ٩٩ ـ ١٠٠

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٤٧ ـ ٤٨

(٦٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٢

(٦٣) المصدر نفسه والصفحة

المصادر والمراجع :

أولاً ـ المصادر :

- أحببتُ يهودية ، (رواية) ، وليد أسامة خليل ، ط ٣ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، تموز ١٤٣٦ه / ٢٠١٥م.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

- بنت صهيون ، (رواية) ، شريف شعبان ، ط ٣ ، دار كيان للنشر والتوزيع ، الجيزة ، ٢٠١٤م.
- الجاسوس ٣٨٨ ، (رواية) ، عبد الله يسري ، ط ١ ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ١٤٢٩ه / يوليو ٢٠٠٨م.
- الجاسوس العثماني ، (رواية) ، محمد معروف ، موقع ساحر الكتب ، ب . ط ، رقم الإيداع ١٦٠٩٠ / ٢٠١٥م.
- حمَّام اليهودي : حكاية رجل اسمه يعقوب شكر الله ، (رواية) ، علاء مشذوب ، ط ١ ، دار سطور للنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٧م.
- الزُّمرة ، (رواية) ، عمَّار الزبن ، ب . ط ، موقع كتائب الشهيد عز الدين القسَّام الإلكتروني ، فلسطين ، ٢٠١٥م.
- العرش والجدول ، (رواية) ، ميسلون هادي ، ط ١ ، دار كتاب ، الدوحة ، قطر ، ٢٠١٥م.
- عين الشرق (هايبرثيميسيا ٢١) ، (رواية) ، إبراهيم الجبين ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٦م.
- لسان العرب ، للإمام العلاَّمة ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ه) ، اعتنى بها : أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.
- مسيًّا ، (رواية) ، عمرو الجندي ، ط ١ ، الدار المصرية اللبنانية ، محرَّم ١٤٣٦ه / نوفمبر ٢٠١٤م.
- موعد في القدس ، (رواية) ، صلاح شكيرو ، ب . ط ، مطبعة دار هومة ، بوزيعة ، الجزائر ، ٢٠١٧م.
- وارث الشواهد ، (رواية) ، وليد الشرفا ، ط ١ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمَّان ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ٢٠١٧م.

ثانياً – المراجع :

أ – المراجع العربية :

- الاتصال والإعلام في الوطن العربي ، راسم محمد الجمَّال ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، آب / أغسطس ١٩٩١م.
- الإعلام أدوار وإمبراطوريات : هزوان الوز ، ب . ط ، مكتبة الأسد ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠١٢م.
- الإعلام موقف ، محمود محمد سفر ، ط ١ ، دار تهامة للنشر ، الكتاب العربي السعودي ٦٣ ، جدَّة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م.
- أيديولوجيا الإعلام : محمد بن سعود البشر ، ط ١ ، دار غيناء للنشر ، الرياض ، ١٤٢٩ه / ٢٠٠٨م.
- التجسُّسُ وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، محمد راكان الدُّغمي ، ط ٢ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ١٤٠٦ه / ١٩٨٥م.
- التشابه والاختلاف : نحو منهاجية شمولية ، محمد مفتاح ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦م.
- الحرب الخفية : قصَّة العلماء الألمان في مصر : جاسوس في القاهرة ، محمود مراد ، ب . ط ، ب . ت.
- دفاتر فلسفية : الأيديولوجيا ، محمد سبيلا ، وعبد السلام بن عبد العالي ، ط ٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٦م.
- فرقة الدُّونمة بين اليهودية والإسلام ، جعفر هادي حسين ، دراسات في العقائد والأديان (١) ، ط ٣ ، مؤسسة الفجر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩ه / ١٩٨٨م.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.1 Jan. 2021

- نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة : نظرية الأنساق المتعددة ، جميل حمداوي ، ط ١ ، مكتبة المثقف العربي ، ٢٠٠٦م.
- النقد الروائي والأيديولوجيا : من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي ، حميد لـــَحمداني ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، آب ١٩٩٠م.

ب – المراجع الأجنبية المـــُترجمة :

- الإعلام العالمي ، توماس . ل . ماكفيل ، تر : عبد الحكم أحمد الخزامي ، الطبعة العربية الأولى ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٢م.
- آفاق العصر : عصر البنيوية ، إيديث كريزول ، تر : جابر عصفور ، ط ١ ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٣م.
- الأيديولوجيا واليوتوبيا : مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ، كارل مانهايم ، ترجمة وتقديم : محمد رجا ، وعبد الرحمن الديريني ، ط ١ ، شركة المكتبات الكويتية ، الكويت ، أكتوبر ، ١٩٨٠م.
- الجاسوسية الإسرائيلية وحرب الأيام الستة ، زفي الدولبي ، وجيرولد بالينغر ، تعريب : غسان النوفلي ، ب . ط ، ١٣٩٢ه / ١٩٧٢م.
- مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية ، أندرو هيود ، تر : محمد صفار ، ط ١ ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين ، ع ١٨٣٠ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٢م.
- مفاتيح اصطلاحية جديدة : معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، طوني بينيت وآخرون ، تر : سعيد الغانمي ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠١٠م.
- المقامات ، السرد والأنساق الثقافية ، عبد الفتاح كيليطو ، تر : عبد الكبير الشرقاوي ، ط ٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠١م.
- النظرية الثقافية والثقافة الشعبية ، جون ستوري ، تر : صالح خليل أبو إصبع ، وفاروق منصور ، ط ١ ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٣٦ه / ٢٠١٤م.
- النقد الثقافي : تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة ، آرثر أيزابرجر ، تر : وفاء إبراهيم ، ورمضان بسطاويسي ، ط ١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

ثالثاً – الدوريات :

- دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني : دراسة ميدانية على عينة من طلاب كلية الآداب ، جامعة الأزهر ، موسى عبد الرحيم حلس ، وناصر علي مهدي ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية ، مج ٢١ / ع ٢ ، ٢٠١٠م.
- وسائل الإعلام وإعادة إنتاج السلطة ، روجي فولر ، تر : محمد خطابي ، مجلة علامات ، ع ٢٤ ، ب . ت.
- وسائل الإعلام الحديثة ، مدثر عبد الرحيم الطيب ، مجلة دراسات إفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، ع ٨ ، جمادى الآخرة ١٤١٢ه / ديسمبر ١٩٩١م.